

«عبدالله البيتوشي» من أعلام العلم و الأدب

دكتور حمزه احمد عثمان
عضو هيأت علمي دانشگاه آزاد اسلامي، واحد گرمسار

الخلاصة

كانت الأمة الإسلامية تفتخر من خلال تاريخها الطويل، والمتلألاً، بوجود وظهور أعلام العلم والأدب الذين نشؤوا وترعرعوا على أرضها، وأضأوا العالم بنور علمهم، وكانوا مصابيح يهتدى بهم، وقدموا للإنسانية الخدمات الجليلة في ميادين العلم والدين والأدب، وكانت الجامعات العلمية عامرة ومنورة بوجودهم، وبتأليفهم. يتوجه إليهم طلاب العلم من أقصى البلاد وأدناها. لايتوانون ولايتكاسلون في أداء الأمانة العلمية وتحويلها إلى أهلها، وتربية جيل مؤمن متحمل لأعباء المسؤولية الإسلامية والإنسانية، والقيام بمقتضاها. ومن هؤلاء الأعلام، عبدالله بن محمد البيتوشي الذي خلدت باسمه «بيتوش». نحن نتحدث في هذه المقالة حول زوايا من حياة هذه الشخصية الفذة، فإنه كان من أجلة علماء عصره، وكان مع فرط ذكائه نشيطاً مقدماً في ميادين العلم والأدب، وإنساناً زاهداً متديناً كرس جهوده المتواصلة ومواهبه الممتازة، لخدمة العلم والدين والأدب، وإفادة طلاب العلوم من الأقاليم والأداني بدون توان أو ملل، سواء كان عن طريق التدريس والتقرير أم بالشرح والتفسير أم بالكتابة والتأليف. ومع أنه عانى من وقائع الأيام وتبليبل الأحوال وعاش بعيداً عن وطنه وأقاربه، إلا أنه بقي كالطود الشامخ في ميدان العلم والعقيدة والأدب، وخلف ورائه تأليف قيمة جديرة باهتمام أهل العلم والأدب، والبحث عنها، وطبع ما هو في متناول اليد، وتدريس بعض منها بالجامعات والحوزات العلمية، في فرع التخصص.

مفاتيح الكلمات: البيتوشي، العلم والأدب، الإحساء، البصرة، الشعر والنثر.

مقدمه

لقد كان المسلمون ومنذ طلوع فجر الإسلام وبزوغ رايته الخفاقة يتوجهون نحو العلم والمعرفة إمتثالاً لأمر نبيهم وقائدهم العظيم الذي حثهم على اكتساب العلم والتوجه إليه بقوله (ص): (أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد) ولم يتوانوا في هذا المجال، فبذلوا الجهد الجهد وسهروا الليالي وتحملوا الأعباء وسهلوا عليهم الصعوبات التي كانت تواجههم في هذا المجال، فظهر من بينهم علماء أجلاء كانوا نبراساً نيراً لمن حولهم، وملاذاً يلتجئ إليهم المتعلمون من أقصى البلاد وأدناها، ويقدمون خدماتهم العلمية بكل جد وإخلاص للطلاب المولعين بالعلم، لا يريدون منهم جزاءً ولا شكوراً، بل كان همهم الوحيد أداء التكليف وحفظ الأمانة العلمية ونشر العلم وتعليمه للمستحقين، بأحسن وجه وأكمل ما يرام، وكانوا بعيدين عن الفخفة والكبر وحب الظهور، ولا يمتنون بما يقومون به من الإرشاد والتدريس، على أحد، بل كانوا طالبيين رضاء الله سبحانه وتعالى، ولا يخافون في الله لومة لائم، ولم يقتصروا على تعلم نوع من العلوم دون آخر بل شملوا عن ساعد الجد لاكتساب ما يلزم ويفيد واستمروا على ذلك عدة قرون، فأضاءوا العالم بنور المعرفة، وفازوا بقصب السبق في جميع حقول العلم، والمعرفة، وقد اعترف بفضلهم العلماء المنصفون من غير المسلمين كـ «جورج سارتون» و«جوتيه» و«دريبر» و«روبرتفلند» و«بريفولت» و«Sedillot» وغيرهم، كما سجله التأريخ في صفحاته (انظر جاهلية القرن العشرين، ص ٢٢٠، ٢٢١، والإسلام في عصر العلم، ص ٤٥٢، ٤٥٣، وروح الدين الإسلامي، ص ٢٦٩). يقول بريفلت، في كتابه «بناء الإنسانية Making of humanity» ليس ثمة ناحية من نواحي الإزدهار الأوربي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة (انظر جاهلية القرن العشرين، ص ٢٢٠). بيد أن كثيراً من من كانوا بدورا في سماء العلم لم يبق من آثارهم ومؤلفاتهم، سوى بعض النسخ النادرة، عند بعض الشخصيات، أو أوراق متفتتة من النسخ الخطية في زوايا مكتبات منسية، تحت أكوام من التراب، يكاد يمتنع أن تصل إليها أيدي صيارفة العلم والأدب، كما أن كثيراً منهم لا يُذكر أساميهم في المجامع العلمية إلا نادراً، ومن جملة هؤلاء العلماء، العلامة المتبحر فريد عصره والكاشف لغوامض المسائل «عبدالله بن محمد الكردي البيتوشي» رحمه الله، فقد كان من أجلة علماء زمانه، وترك بعده مؤلفات قيمة نظماً ونثراً لا يستغنى عنها أهل العلم والأدب، لكن بعضاً من مؤلفاته لا يمكن العثور عليها إلا بعد كدٍ وتعب، لعدم وجود نسخ مطبوعة أو لعدم تجديد طبع ما طبع منها. ونظراً لمكانة هذا العالم الجليل وخدمته التي قدمها لأهل العلم والأدب، وددت أن أكتب بحثاً مختصراً عن حياته المليئة بالمجاهدة والصعوبات، معتمداً في ذلك على ما احتفظ به من مؤلفاته، وعلى ما كتب عنه في مؤلفات بعض الأفاضل.

نشأته وحياته ووفاته

هو عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن عز الدين البيتوشي الألائي الخانخلي^(١) المكنى بأبي محمد، وكان عالماً متبحراً، وشاعراً ماهراً، وأديباً بليغاً، نذل

١- بيتوش: قرية من القرى الواقعة في ناحية «الآن» التابعة لمدينة «سردشت» في كردستان إيران، و«خانخل» قرية في جنوبي شرق بيتوش بفاصلة ساعتين مشياً على الأقدام، وكان أبو البيتوشي يقيم في تلك القرية قبل الانتقال إلى بيتوش. (تاريخ مشاهير كرد، ١/٢٧٦)

على فضله، وتبحره آثاره وتأليفه القيمة التي تركها بعده. ولد البيتوشي بقرية «بيتوش» و اختلف في سنة ولادته بين سنتي ١١٣٠، و ١١٤٠ هجرية. ترعرع في أحضان عائلة دينية، ونشأ بين أهله وأقاربه المشهورين بالعلم والشرف. إن بيت عبد الله البيتوشي كان بيت دين وعلم وفضل وتدرّس وخدمة للدين المبين، ونبغ منهم علماء أفاضل، ومن جملتهم والده (الشيخ محمد) الذي كان مدرساً في مدرسة «بيتوش» - وكان له من الفضل ما لم يكن يجهله أحد من فضلاء عصره - وعبدالله نفسه، وأخوه الشقيق الأكبر منه سناً (الشيخ محمود) والذي قلّ نظيره من ناحية الذكاء وقوة الحافظة. (انظر علماءنا في خدمة العلم والدين، ص ٣٤١). دخل البيتوشي مدرسة تعليم القرآن الأهلية بعد أن وصل إلى مرحلة التمييز، وختم القرآن الكريم، ثم بدأ بقراءة بعض الكتب المتداولة للقراءة آنذاك والتي كان المبتدئون يقرؤونها، ومن جملتها «گلستان سعدی» المشتمل على النصائح والحكم والآداب. ثم اشتغل بقراءة مبادئ العلوم العربية في «بيتوش» وقد بذل قصارى جهده في سبيل تحصيل العلم، فكان مولعاً بالعلم يقضى أيامه ويسهر ليلاته في أخذ الدروس والحفظ والمطالعة، وكان ذكاؤه بحيث جلب أنظار الأساتذة والرفقاء إليه، وساعده على التقدم السريع والصعود على مدارج الكمال. اشتغل البيتوشي بتحصيل العلوم في مدرسة والده في «بيتوش» وهو في أوائل البلوغ، فمات أبوه الماجد منتقلاً إلى عالم الخلود، فاضطر البيتوشي للانتقال إلى استاد حاذق يفيد كما استفاد من والده، فانتقل مع أخيه (الشيخ محمود) إلى مدرسة قرية «سنجوى» بقضاء «سردشت» وكان العلامة الملا محمد (ابن الحاج) - الذي تلمذ عليه كثير من العلماء الأفاضل وكان له شهرة بين علماء عصره في علوم مختلفة وبالأخص في علم الكلام، حيث اشتهر ب (علامة كلامي) - مدرساً هناك، فاشتغل في محضره بتحصيل العلوم العربية أصولها وفروعها ولازمه عدّة سنوات (انظر علماءنا في خدمة العلم والدين، ص ٣٤١، وتاريخ مشاهير كرد، ١/٣٧٦) ثم انتقل إلى قرية «ماوران» بمحافظة اربيل (هه ولير) في كردستان العراق الحالي، حيث كانت هناك مدرسة دينية معروفة، وكان العلامة «صبغة الله بن ابراهيم الحيدري» - الذي انتقل إلى بغداد أخيراً وكان إماماً جليلاً في كل فن واستمر على تنوير العراق بالعلم والفضائل حتى وفاته - مدرساً في تلك المدرسة، فبقى البيتوشي هناك يقطف الأزهار من رياض علمه، فأخذ العلوم العقلية والنقلية المتداولة من محضره إلى أن وصل إلى مستوى معروف بين أهل العلم والتحصيل في كردستان، وكان يرافقه أخوه الأكبر «الشيخ محمود» في مدرسة العلامة الحيدري. ثم ذهب إلى مدارس أخرى في بعض المدن العراقية، وتوجّها إلى «بغداد» فاتصلاً بأستاذيهما (صبغة الله الحيدري) والذي أخذ العلم والمعارف في محضره في قرية (ماوران) وبقياً في بغداد أياماً ثم توجّها إلى البصرة، ثم فارقاً بلدهما ورحلا عن وطنهما على عادة العلماء النابهين، مارّين في طريقهما بالمدارس ومجامع العلماء في المدن الإسلامية إلى أن وصلا إلى بلدة الإحساء^(١). ومما يجدر بالذكر هنا ويدل على قدرة حافظتهما العجيبة هو أنّهما حينما عزموا على التوجه إلى بغداد لم يكن لدهما مصارف الطريق. وكان لدهما كتابان (تحفة المحتاج) لابن حجر الهيتمي في الفقه، و(قاموس المحيط) لفيرزآبادي، فقام الشيخ محمود بحفظ «التحفة» و قام البيتوشي «بحفظ القاموس» ثم باعا الكتابين المذكورين لصرف ثمنهما في الطريق. أمّا كيفية وصولهما إلى الإحساء

١- وهو إقليم يشمل الساحل الشرقي في المملكة العربية السعودية من حدود الكويت إلى حدود قطر، قاعدته الدمام عرف سابقاً باسم «هجر» و «البحرين» يعرف اليوم بالمنطقة الشرقية الغنية زراعياً، تمر وفواكه، ومنطقة نفط هامة (المنجد في الإعلام، ألف)

ومتى وصلا، فلا نعرف (انظر علماؤنا في خدمة العلم والدين، ص ٣٤٣، والبيتوشى، ص ١، ٢١، وتاريخ مشاهير كرد، ٢٧٧/١) وبعد وصولهما إلى الإحساء انتصب الشيخ محمود مدرّسا في إحدى المدارس الموجودة هناك، بأمر حاكمها (الشيخ عرعر) وعبدالله البيتوشى - كما ذكر الشيخ محمد الخال في كتابه (البيتوشى) - كان مدرسا في مدرسة أخرى في بلدة (ميرز) بولاية الإحساء، وطارصيته بين العلماء، وتوجه إليه طلاب العلوم من الأطراف، وبقيها هناك إلى سنة ١١٧٨ هجرية، واشتغلا بالتدريس والتأليف، واتصل البيتوشى بالشيخ أحمد بن عبد الله بن آل عبدالقادر الأنصارى الخزرى الإحسانى الذى صار حاكما للإحساء فيما بعد، والذى ألف له البيتوشى منظومته الشهيرة ب (الكفاية) فى حروف المعانى، وحصلت بينهما علاقة وثيقة صادقة، ومدحه فى مقدمة المنظومة، حيث يقول:

ذاك ابنُ عبد الله أحمدُ العلا من امتطى مَطى المعالى فاعتلى
قد شهدت لفضله الحُسادُ ودُللت لعزّه الأساد
نو نسب كالعلم المنسوب والرّمح أنبوباً على أنبوب

وذكر كل من كتب عن البيتوشى بأنه بقى هو وأخوه فى ولاية الإحساء إلى سنة الف ومائة وثمان وسبعين هجرية، ثم أصابهما داء الحنين إلى الوطن، فرجعا معا إلى مسقط رأسهما قرية (بيتوش) فتهاقت عليهما أهل القرية وعلماء الأطراف والأصدقاء ولقيهما حاكم مقاطعة بيتوش بالترحيب، وطلبوا من الشيخ محمود أن يبقى مدرّسا مكان أبيه، وألحوا على ذلك، فقام الشيخ محمود مقام والده، واشتغل بالتدريس إلى أن توفى رحمه الله، وبقي العلامة عبدالله هناك إلى سنة ١١٨٠ هجرية، يدل على ذلك ما كتبه فى آخر شرحه لمنظومته فى العروض، فيقول:

(تمّ هذا الشرح فى نواحي الكرد، سنة الف وتسع وسبعين بعد المائة فى مدرسة بيتوش الصيفيّة، فى أيام الحكومة اليوسفيّة)، وكذلك الرسالة التى كتبها فى أوائل سنة ١١٨٠ هجرية، فى «بيتوش» لأستاذه (ابن الحاج) فى قرية (هزار مرد) وسنذكر مقتطفات منها. ثمّ توجه البيتوشى مرّة ثانية إلى الإحساء أوائل سنة ١١٨٠ هجرية، فنزل بالبصرة عند صديقه الشيخ درويش الكوازي العباسى، من آل عبدالسلام، وبقي هناك أياما ثمّ سافر عن طريق البحر متوجّها إلى الإحساء، وذكر سفره هذا، فى حاشية كتبها على هامش البهجة المرضيّة، فيقول: (لكاتبه عبدالله فى غاية إرتجاج الأمواج واضطراب البحر الهياج أنقذنا الله من ذلك وسائر المهالك ١١٨٠). (انظر البيتوشى، ص ٢٧، ٢٨) وفى غضون (١١٨٦-١١٨١) هجرية حنّ البيتوشى إلى الوطن، فرجع إلى «بيتوش» وبقي بين أقاربه وذويه ردحا من الزمن، وفى أواخر شهر شعبان سنة ١١٨٦ هجرية ذهب إلى قرية (هزار مرد) لزيارة استاذه (ابن الحاج) وبقي هناك مدة، وكان «الشيخ معروف النودهى» المشهور والذى كان تلميذا عند ابن الحاج، طلب من استاذه أن يوافق على بقاء البيتوشى فى حجرته مدة بقائه هناك، فوافق ابن الحاج على ذلك، وهكذا هيئت للنودهى فرصة ذهبية ليكتسب الفضائل من البيتوشى ويعترف من دأما علمه وأدبه وبلاغته وشعره، وقرأ عنده بعض رسائله الأدبية، وبذلك تفتحت

قريحته الشعرية وقويت فيه الروح الأدبية. (نفس المصدر، ص ٣٩، ٣٨، ٣٠). وفي أواخر سنة ١١٨٨ هجرية ترك البيتوشي كردستان للمرة الثالثة وبصورة نهائية، فذهب إلى بغداد، ومنها إلى البصرة فنزل بها أوائل سنة ١١٨٩ هجرية، وعين مدرّساً في المدرسة الرحمانية هناك، ولكن بعد فترة من وصوله وقع البيوشي في فخ محاصرة (صادق خان الزندي) للمدينة حيث هاجمها بعساكره الجرارة، وطوق البلدة مدة ستة عشر شهراً. (انظر علماؤنا فيخدمة العلم والدين، ص ٣٤٦) وقد أشار البيتوشي إلى هذه الحالة في خاتمة منظومته (حديقة السرائر، في نظم الكبائر) - وهي نظم بديع رائع لكتاب (الزواج عن إقتراف الكبائر) لأحمد بن حجر الهيتمي شرع في نظمه أيام المحاصرة وأكمل النظم في شهر صفر سنة (١١٩٠) - فيقول:

دونك ذي المنظومة الوجيزة	بديعة في بابها عزيزة
بيوتها محكمة مُنيفة	أبيئها (لطيفة شريفة)
ناظمها الكردي عبداً لله	لمذنبُ الغريقُ في الملاهي
في صفر يسر لي الإتمام	تاريخُ ختمي (حسن الختام)
في البصرة المشيدة البنيان	عام (محاصرة صادق خان)
رابعُ عشر أشهر الحصار	في شدة الغلاء والإعسار
إذ لم تُبع بذهبٍ دجاجة	ولو غدا صاحبها ذاحجة
والناس بالضجيج والبكاء	تدعو إله الأرض والسماء
ياربّ قد طالت علينا المدة	إلى متى ياربّ هذه الشدة

(انظر البيتوشي، ص ١٠٣)

فأشار بقوله (لطيفة شريفة) إلى عدد أبياتها بحساب الجمل، أي هي سبعمئة وتسعة وعشرون بيتاً، وأشار بقوله (حسن الختام) إلى تاريخ نظمها، أي في شهر صفر سنة الف ومئة وتسعين. ومن البديع أن قوله: (محاصرة صادق خان) بحساب الجمل يأتي تاريخاً ثانياً لسنة ختم الكتاب، كما كان قوله (حسن الختام) تاريخاً لها. وفي أواخر سنة الف، ومئة وتسعين ترك البصرة وذهب إلى الإحساء للمرة الثالثة، وكان في العقد السادس من العمر فالقى فيها عصا الترحال، كما يتبين من ذلك من منظومته (الكفاية) حيث يقول:

نظمتها في بلد الإحساء

لازال محمياً من البأساء

وحين من الله بالإتمام

أرختها ب (أحسن الختام) (١١٩١)

تزوج البيتوشي بنت قاضي الإحساء الشيخ عبد القادر وأنجبت له بنات عدة، يدل على ذلك قوله في إحدى قصائده:

أثقلت ظهري بنات عدّة لم أطق منها نهوضاً وقياماً
ومن تلك البنات فاطمة الزهراء التي أرّخ سنة ولادتها، بحروف (غصن بان) وهي
الف ومائة وثلاث وتسعون هجرية، فقال :

سُئلتُ عن تاريخ ميلاد ابنتي فاطمة الزهراء بامتحان
فقلتُ لولا ما يضاهاها من عُصن بان كان (غصن بان)

(انظر علماؤنا في خدمة العلم والدين، ص ٣٤٨، ٣٤٧)

وتوجّه من الإحساء إلى البصرة في السنة التي توفي فيها، لزيارة صديقه الشيخ احمد
بن الشيخ درويش العباسي، وبعد برهة وجيزة من وصوله إليها توفي على أثر وعكة
ألمّت به عن عمر يناهز الثمانين عاماً، ودفن بالزبير بمقبرة الحسن البصري رحمهم الله،
وقبره غير معلوم لأبناء هذا الزمان. (انظر البيهوشي، ص ٣٤). ويظهر ممّا نقله الشيخ محمد
الخال من كتاب (سبائك العسجد) لتلميذ البيهوشي الشيخ عثمان بن سند الوائلي، ومن
الأبيات الثلاثة الآتية للبيهوشي أنه زار الحجاز وأدى فريضة الحج، وبقي هناك مدّة
اتّصل بأقطاب العلم والأدب، وتوثقت بينه وبينهم عرى الصداقة والمودّة بحيث انطبعت
على صفحة خاطره، وجعلته يذكرهم في أشعاره، فيقول:

ما أمرّ الفراق يا خيرة العرّ ب وأحلى الوصال بعد البعاد
يا أهيل الحجاز إنّ غرامي للقائكم ما إن له من نفاذ
أحسن الدهر أم أساء فرجائي نظرة منكم تجي بمُرادي

(انظر البيهوشي، ص ٧١)

أمّا الداعي لذهاب البيهوشي في أول الأمر - مع أخيه - إلي الإحساء، وابتعاده عن
الوطن ومحيطه الذي كان يعيش فيه وقرينته التي لا يساويها غيرها في المناخ
الطيب، بالإضافة إلى وجود عشيرته وأقاربه وأصدقائه فيها، فيرجع - كما هو الظاهر
وأشار إليه الشيخ محمد الخال والشيخ عبد الكريم المدرس - إلى الأمور التالية: ١- إنّ
مدرسة والده ملئت بمدرس آخر و استردادها لنفسه لأخيه الشيخ محمود، لم يكن
سهلاً، لبعدهما عن المدرسة بعد وفاة والدهما الماجد، ويدلّ على ذلك استقبال الناس
منه وأخيه حينما زارا مسقط رأسهما بعد سنوات، وإجبار الناس الشيخ محمود على
البقاء مدرساً في مدرسة بيتوش ٢- وجود الإضطرابات والفوضى في بلاده بسبب
الحروب الدائرة بين إيران والعثمانيين في المنطقة، وضيق البلاد من الناحية
الإقتصادية، وندرة وجود محل مناسب للتدريس مع الرفاه، ولم يكن يتمكن من
إرواء غليله وبلوغ طموحه بالاتصال بالعلماء والفضلاء - بكلّ حرّية - في وطنه.
(انظر علماؤنا في خدمة العلم والدين، ص ٣٤٢، والبيهوشي، ص ٤٠). وأمّا أسباب تردده بين
وطنه كردستان وبين الإحساء، مع ما بينهما من بعد المسافة وتحمل متاعب السفر،
فهي: ١- وجود علاقة ومودّة صادقة بينه وبين أصدقائه وأحبائه في الإحساء. ٢-
طموحه إلى طلب المعالي وإكمال شخصيته بالاتصال بمجامع العلم والأدب، ومجالس
الفضلاء والأدباء في الحواضر والعواصم. ٣- حب الوطن الذي فتح فيه عيون

وترعرع فيه، والحنين إليه وإلى الأهل والأقارب والأساتذة وأصدقاء الصبا؛ ويتضح ذلك من قصيدة له يصف فيها قريته (بيتوش) ويشير إلى دواعي إغترابه، فيقول:

ألا حَيَّ بيتوشاً وأكنافها التي يكادُ يُروِّي الصاديَاتِ^(١) سَرابها
مَراعٍ يُزري بالعبيرِ رَغامها وتَهزأُ بالطَّيِّبِ النَّفُورِ كَعابها
بلادُها حلَّ الشبابِ تَمائمي وأوَّلُ أرضٍ مَسَّ جَلدي تَرابها
لقد كان لي مِنها عَريُّنٌ وكانَ مِن مَقامي لها سُحبٌ سَكوبٌ رَبابها
ولكن دَعاني لاغِترابي مَعشَرُ غياثُ إذا الأهوَالُ ما جَ عُبائبها
فهاجرَها هَجَرَ الحُسامِ قَرابه على رُغَمها تَبكي عَلَيَّ هُضابها
يَعزُّ عَلَيَّ الإنسانُ تَوَدِّعُ نورَه وَسودِ جَعادٍ أن تَنائى شَبابها
وَرُبَّ قُضايا لاأباحِسنَ لها بها بَعَدَ إبعادي فجلَّ مُصابها
فَعَوَّضتُ عَنها في اغِترابي رَفَعَه مِنَ الدَّهرِ يُعَيى النَّيرينِ طِلابها
وَمَن يَطْلُبُ العُليا يَجِبُ كُلَّ قَدٍ وإن ساوَرَتُه أُسَدُها وذُنابها^(٢)

(صرف العناية، ص ٥٣٧، ٥٣٦)

شخصيته العلمية والأدبية، وثقافته وشعره

إنَّ شخصيَّة البيتوشي العلميَّة تظهر من خلال تأليفه القيمَّة والتي أضاء بها المحافل العلميَّة ومجالس العلماء في عصره، فكان- رحمه الله- عالماً نحريراً وبحراً فياضاً وأديباً باهراً وشاعراً ماهراً وقاموساً لغويّاً قلَّ نظيره من بين العلماء في زمانه، وقد لاح كالبدر يبيزغ في أفق العلم والأدب، و كان حاضر الجواب للأسئلة التي كانت توجه إليه، وكانت له مهارة في صناعة الجدل، وحذق في قوَّة الحجَّة وبداهة الفكر. أفحم من ناقشه، وألزم من جادله، فهو يقول في ذلك:

لدي لجامٌ للجَموح يردّه وعندي هجارٌ للشُّرود المندد
لساني يقضي لي شباه وحدّه إذا وهنت عمّا أزاوله يدي^(٣)

(انظر البيتوشي، ص ٤٣)

١- الصاديَات: العطاش. الرَغام: التراب. الكعاب: كسحاب، الجارية حينما ينهد تديها. التمام: جمع تميمة وهي العوذة تعلق على الطفل فإذا كبر وشب قطعت عنه. العرين: مأوى الأسد المقام بالضم: الإقامة. الرَياب بالفتح: السحاب الأبيض. العباب بالضم: معظم السيل. الحسام: السيف. القراب: الغمد. الجعاد: ضد البسط، وتناهى شبابها: تفارق شبابها. أي يصعب على خصل سود جعاد مفارقة شبابها لها.

٢- ربَّ قُضايا... الخ: مأخوذ من قول بعضهم: قُضِيَّةٌ ولا أباحسن لها، يريد بأبي الحسن علياً (ع). عَوَّضت: بالبناء للمجهول. يعنى: من الإعياء وهو التعب. النيران: الشمس والقمر. الطلاب: مصدر. طالبه بمعنى طلب منه حقاله عليه: أي إنني اكتسب في غربتي ورحلاتي رفعة وشرفاً يعجز النيران عن مطالبتها، فكيف بنيلها؟. يجب: من جاب الأرض إذا قطعها بالسير. الفدق: الصحراء. ساورته: وثبت عليه، انقض عليه.

٣- الهجار: حبل يشد في رسغ البعير ثم يشد إلى حقوه. الشُرود: يفتح الشين صفة مشبهة لما نفر وخرج من الطاعة. المندد: المخالف. الشبا: جمع شباة حد السيف: أي إن لساني ينتقم من الخصم بحده إذا ضعفت وعجزت يدي عن ذلك.

ولا يختلف اثنان في علمه وفضله ووقوفه على دقائق العربية، وله آثار وتأليفات كثيرة في جميع العلوم الإسلامية، تدلّ على سعة علمه وقوة بصيرته، كما سيأتي البحث عنها. ويكفي لمعرفة مستوى ما وصل إليه البيهوشي من العلم والفضل أن مفتي بغداد (محمد فيضى الزهاوى) الكردي، والد جميل صدقى الزهاوى - الذي وصفه العلامة (السيد محمود الألوسي) صاحب تفسير روح المعاني، في كتابه (غرائب الإغتراب) بأنه ثالث الرفاعي والنووي^(١) - يفتخر بين علماء بغداد وأدبائها بأنه قرأ العلوم العربية عند الشيخ معروف النودهي وأخذ الأدب عنه، والشيخ معروف هذا - كما أشرنا إليه فيما سبق - كان يباهي بأنه صحب البيهوشي أياما، وقرأ عنده رسائله الأدبية، وبذلك تفتحت قريحته الشعرية وقويت فيه الروح الأدبية. (انظر البيهوشي، ص ٣٨، ٣٩، وكنجينه فرهنك و زانست، ص ٣٥٤) و كان البيهوشي شاعرا بفطرتة، وبالإضافة إلى اللغة العربية فإنه كان ينظم الأشعار بالفارسية والكرديّة، وأن أدبه الفارسي والكردي لا يقلان من حيث البلاغة وقوة التفكير عن أدبه العربي. ومع ما كان له من المقام والمنزلة الرفيعة في الشعر، وملكة الشعر عنده بلغت حدّ الكمال في النمو والنضج، إلا أنه ما كان يحب أن يلقب بالشاعر، كما هو الظاهر من أبيات قالها في قصيدة مدح بها الشيخ احمد بن محمد بن زرق، حيث يقول:

مع أنني لأرتضي بالشعر لي لقباً وإن يك كلُّه من عسجدٍ
يأباه لي علمي وأبائي الألى ورثوا المكارم سيّداً عن سيّد
لكن أحياناً أدودُ بنظمه عن خاطري همّ الزمان الأندك

(انظر البيهوشي، ص ٧٢، و تاريخ مشاهير كرد، ١/٢٨١، ٢٨٠)

ومن يطالع مؤلفاته ومكتوباته، يجد أن أكثر أشعاره الموجودة، في المواضيع والمسائل العلمية، وتوجد ضمن أشعاره أمثلة رائعة ضمنها وصفا أو شكوى أو عتاباً أو رثاءً أو غير ذلك من المعاني البديعة وبأسلوب يبدو فيه الروعة والجمال، فمن نماذج أشعاره في بيان معاني اللام، في منظومته (كفاية المعاني):

واللام قد تأتي بمعنى في، على ومَع، وعِنْدَ، بعدَ، من، وعن، إلى
ثم يأتي لكلّ معنى بيت فيه لواحد الحبّ ونقمت الغرام، ويقول:

سبيلنا الممات في أهل العضا ياويج صبباً لسبيله مضى
وكم ترى في حيّهم من مُغرَم خرّ صريعاً للبيدين والقم
دهري لطول الأُنس بيننا سعى حتّى كأنّا لم نبت ليلا معاً
راسلّهم أشكو الجوى لعشر خلون من شهر الجفا والهجر
ياربّما زجرت فيهم عنسي لاحظاً إلا لدلوك الشمس

١- الرفاعي والنووي كانا من أجلة العلماء، فالرفاعي: هو عبد الكريم بن محمد أبو القاسم الرفاعي القزويني من كبار الفقهاء الشافعية، وكان له مجلس بقزوين للتفسير وتفسير الحديث وكان زاهدا ورعا متواضعا، ومن مؤلفاته، شرح الوجيز للغزالي، والتدوين في أخبار قزوين. مات بقزوين سنة ٦٢٣ هجرية. والنووي هو يحيى بن شرف، محدث حافظ تعلم على شيوخ الحديث بدمشق، ولى مشيخة دار الحديث. له مؤلفات كثيرة، منها الأربعون النووية، في الحديث، وتهذيب الأسماء واللغات، ورياض الصالحين، توفي سنة ٦٧٦ هجرية (دائرة المعارف القرن العشرين، ج ٢٦٥/٤-٢٦٦، و ج ١٠/٤٢٣، والمنجد في الأعلام، حرف الراء، والنون)

بأنه صاح هل ترى الحبيبا
دع جاهلاً قال لأهل حبه
أوحى لنا بطرفه القنان
يَسْمَعُ لي البُكَاءَ واللَّحْيَا؟
لو كان خيراً لسبقتهم به
فَخَرَّتِ القَوْمُ عَلَى الأَذْقَانِ

(كفاية المعاني، ص ١٦، ١٧، ١٥)

ويقول في بيان معاني عن:

وَعَن بِمَعْنَى البَا وَبَعْدِ وَعَلَى
يا تاركي في لوعتي لولا النوى
مآن أن تُدنيَ عَن طول القلى
لأفضلوا في حَسَبِ عَني ولا
جِنْتُكَ عَن وَعَدِكَ فاشدُّ عَضُدِي
كما أتت لعلّة وبدلاً
ما كان دَمعي ناطقاً عن الهوى
مَن فيكَ أَمسى مُسْتَهاماً مُبْتَلَى
في نَسَبِ مَن تُصَطِّفِيهِم لِلوَلَا
إذ لَيْسَ يَجْزِي أَحَدٌ عَن أَحَدِ

(نفس المصدر، ص ٣٣)

فالقارئ يلاحظ بين هذه الأشعار معاني الوصل والفراق، وحنين العاشق، والعتاب، ومنية المُتَمَنِّي، وما إلهافي أسلوب رائع يطرب السامع لسماعه. وللبيتوشي أشعار مليحة ولطائف أدبية، ومن نماذجها قوله في من يحاول إرشاد الأندال وتغيير حالاتهم:

إن من رام انقلاب النذل عن
مثل ذي جهل يريد القلب عن
خسّة الطبع الأبي الجامح
روث ثور أو حمار رامج

(انظر البيتوشي، ص ٨٥)

اي إن الذي يحاول بإرشاده قلب الأشخاص الأندال عن دناءتهم وخستهم إلي المرؤة، فهو كجاهل يريد قلب «روث ثور» أو «حمار رامج» افالنتيجة واحدة لا تتغير بالقلب.

وكان البيتوشي ذامقذرة فائقة في وضع الألغاز النحوية وغيرها، وله كثير من الألغاز اللطيفة، منها ما كتبه في جواب لغز وجهه إليه الشيخ معروف النودهي مستفهماً، وهو:

أعبدالله ما حرف هو اسم
والجواب هو قول البيتوشي:

وما اسم كله حرف فأعجب
وبحث بذاك في نظمي ففكر
به والنصف يأتي للنداء
تجد إن كنت من أهل الذكاء

كلمة «ما» في البيت الأول هي مدار السؤال والجواب. وخاطب البيتوشي الشيخ معروف النودهي ملغزاً بقوله:

وما اسم نصفه للكفّ يأتي
وما يبقى لنفي في الكلام
وإن تحذف له صدرأ وعجزأ
ضمير الجمع تلق مع التمام
ومهما اكتفيت بحذف صدر
فلاثنين يا تاج الكرام
وها إئي أراه خلال نظمي
كلمع البرق من تحت الغمام

ومدار اللغز هو كلمة «مهما» إذ نصفها الأول كلمة «مه» بمعنى أكف، ونصفها الثاني كلمة «ما» التي تدلّ على النفي، وإذا حذفنا صدر «مهما» تصير ضمير المثنى، وإذا حذفنا الصدر والعجز منها، تصير «هم» وهو ضمير الجمع.

أشرنا فيما سبق أنّ أدبه الفارسي والكردي - من حيث البلاغة - لم يكن أقلّ من الأدب العربي، لكن مع الأسف لم يصل إلينا من الأدبيين إلا أبيات قليلة، وأعتقد أنّ السبب الرئيسي في ذلك هو أنه كان بعيداً عن وطنه، ولم يكن هناك من يتوجه إلى آثاره التي كتبت بغير اللغة العربية ويعتني بها، لذا فقدت أكثرها أوبقيت في زوايا مجهولة ومنسية، فمن نماذج أشعاره باللغة الفارسية قوله:

خون مينا بقده ريز و بمن ده ساقى تا دگر خنده بيجا بحريفان نزند
تير در معرض هجراست ز آغوش وصال خنده سوفار به دلگیری پیکان نزند

يعني أهرق دم القارورة في القدح، واسقنيه كيلا تفهقه بعدُ بالندامي في غير محله (يريد بالتهقئة بقبقة القارورة عند تفريغها مما فيه) إن السهم مع كونه في معرض الهجر عن حوض الوصل فإنّ فوهته لاتضحك بانقباض قلب النصل. (انظر البيتوشي، ص ٨٩، ٩٠، و كنجينه فرهنك وزانست، ص ٣٥٥)

ومن اشعاره باللغة الكردية قوله:

له ديباجه ي كتابي حسني عاليه م هه ر ورق لادم

ده بينم مبحثي وصفت له هه ر فصلي له هه ربابي (نفس المصدر، ص ٩٢)

اي كلما أتصفح أوراق المقدمة من كتاب حسن العالم، أرى مبحث أوصافك في كلّ فصل وفي كلّ باب. ويمكن أن يكون هذا البيت إقتباساً من البيت المشهور لسعدى الشيرازي:

برگ درختان سبز در نظر هوشيار هر ورقش دفتري است معرفت كردگار

نثره الأدبي

يبدو من أسلوب مكاتبات البيتوشي ورسائله الأدبية أن الكتابة عنده لم تكن مجرد تعابير إعتيادية، بل كانت فناً وصناعة تستحق الخلود، وأن رسائله المتينة تشهد له بسعة علمه وتمكّنه من اللغة وقدرته الفائقة في هذا الميدان، ولمعرفة ذلك، ولنتطّلع على نموذج دالّ على ما لديه من رفعة الخيال وبلاغة التشبيه وروعة التعبير وقدرته على دقة التصوير، نقل هنا فقرات من رسالته المشتهرة بالرسالة العراقية والتي بعث بها

من الإحساء الى بغداد للعلامة عبيد الله بن صبغة الله الحيدري الماوراني، في جواب مكتوبه، إذ يقول:

... ومن كثرة شغفي في البُكر والأصائل، بارتشاف رُضابِ الطَّلّ من ثغور أقاحي تلك الخمائيل، ووفرة كلفي بالمقيل، في سَجَسَجِ ظلّها الظليل، كنتُ أتَنكَّبُ، عن صحبة من لايداب، في اجناء ثمرة الأدب، ولايتعلّقُ من أهدابه بهدب، ولو أناف في التصوف على الجنيد، وفي التقشف على عمرو بن عبيد، ظلماً منّي أنه من أمنّ المعائل للعائل، وأوثق الوسائل إلى النائل، بيدائي كلما زدت في ذلك ارتفاعاً زاد حظي نقصاً واتضاعاً كما قلتُ فيما بثتت فيه شجونِي، قبل أن يطلع فجرُ المشيب من ليالي قروني:

حتّى متى أرق المعالي ولا
أبرح من دهري في الهون
أعلو ورأسي في انتكاس إلى
سفل كآتي بيد مجنون^(١)

وأصبحت الليالي تشنُّ عليّ الغارة بعد الغارة، وتتلعّب بي تلعب السبور بالفارة ...، وما برحت من الشجي والخلي في ثوبي معذرة وتعنيف إلي أن أتاني من جنابك الشريف - لازلت حضرته العلية للطلاب أخصب ريف - كتاب فحاويه أرق من ماء الشباب ومعاتيه أحلى من رُضاب الخود الكعب، فوفقت على مافيه من بدائع الفنون، وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمته، فألفت عقد مجمل سيره المصون، كما فصلّ الياقوت بالدرّ ناظمه، ورأيت أصداف ألفاظه تنفلق عن اللؤلؤ المكنون، كما افتّر عن زهر الرياض كمانمه، فتضاعف عندي قراءته على قلبي المحزون، من الشوق والتبريح ما الله عالمه، وكان جفني حين يادره بالدمع الهتون، كريم رأي ضيفاً فدرت مكارمه، فليزه كاتب ذلك الخط، فلقد حظ بعدما قط، فأتى بما لم يسبق إليه قط، وسطرّ فعطر، وأوجز فأعجز، ... ولقد زادني سيدي بما كتب، إجلالاً عند جاحجة العرب حتّى أتى حلت من كل صدر محلّ جنانه، ومن كل عين محلّ إنسانه، وقلدني نعمة لا أقارف كُفرها، ولا أقارق شكرها، إلى أن تُفارق الحمانم أطواقها، والجوزاء نطاقها. وقد أملت باطناب هذا الهذر جنبه الخطير، وأبرمته بتطويل ما لا طائل تحته على أي من أهل التقصير، فماهو إلا هذيان محوم، أو تخطيط موموم مع أن من الكلام ماهو كالشعر كلما طال زاد في الجمال، وكالحياة تشتهي النفوس بعمداها، وأن لاتقف على منتهاها، وكالتشاي والتناجي من المحبين، إذا التقيا بعد البين في الليل الداكن^(٢) (انظر البيتوشي، صص، ٢٥١، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢٣٩، ٢٣٨، ٢٣٧)

١- من كثرة: متعلق بقوله الآتي (كنت أنتكب). البكر: جمع بكرة وهي أول النهار. الأصائل: جمع أصيل بمعنى الوقت بين العصر والمغرب الارتشاف: من رشف الماء مصّه الطل: الندى، وإضافة الرضاب إلى الطل من إضافة المشبه به إلى المشبه، أي الطل الذي في الأزهار بين الأوراد والرياحين كالرضاب في قم الأحياء الأفاحي: جمع أقحوان وهو نبات له زهر أبيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء وأوراق زهر مفلجة صغيرة يشبهون بها الأستان، ومنه قول الشاعر: ←

مازلت من جبيرة ومن دهش
بأنه يا أقحوان ميسمه
أقول لمارأيت ميسمك
على قضيب الأراك من نظمك
الكلف: الحب والولع. المقيل: موضع الإستراحة والقبولة في الظهيرة. السجسج: الهواء المعتدل كالذي بين الفجر وطلوع الشمس. أنتكب: أعدل وأعرض. لايداب: لايسعى دائماً. الأجتناء: التناول. الهدب: الغصن. أناف: أي فاق الجنيد: هو أبو القاسم الجنيد بن محمد (ت ٢٩٧ هـ - ٩١٠ م) صوفي زاهد بغدادي. ولد وتوفي ببغداد. تلقى العلوم الفقهية عن سفيان الثوري، والعلوم الصوفية عن خاله السري السقطي. حج ثلاثين حجة ماشياً. (المنجد في الأعلام، ج). عمرو بن عبيد: هو معتزلي منتسك، اشتهر بعلمه وزهده، وفيه قال المنصور: «كلكم بمشي رويد. كلكم يطلب صيد غير عمرو بن عبيد» له رسائل وخطب كثيرة، ولد بالبصرة سنة (٨٠) وتوفي بمران قرب مكة سنة ١٤٤ هجرية ورتاه المنصور (انظر البيتوشي، ص ٢٣٨، هامش). المعائل: الحصون. فيما الخ: أي في الشعر الذي أذعت ونشرت فيه شجونِي وأحزاني. الهون: الخزي. بيد مجمون: اسم شجرة كلما ارتفعت زادت أهدابها تدليا إلى الأرض للينها، وهي نوع من الخلاف، وبيد مجنون كلمة أعجمية، مركبة من الفارسية والعربية.
٢- الشجي: الحزين. الخلي: الفارغ من هم، والكلام على حذف المضاف أي حالتهما، وهو إشارة إلى المثل السائر «ويل للشجي من الخلي». نوبي: بالثنية المعذرة: مصدر عذره، أي رفع عنه اللوم. الريف: الأرض المخصبة تنفلق: تنشر. الكمائم: جمع كمامة وهي غطاء الزهر. التبريح: التوهج والشدّة الهتون: المنصب المهرق. فليزه: أي فليفتخر. حظ: من حظ الجلد صفله ونقشه بالمحطة. قط: من قط القلم ونحوه قطع رأسه الجاحجة جمع ججاج وهو السيد المسارع إلى المكارم الجنان: القلب. الإنسان: هي النقطة السوداء في سواد العين. لا أقارف: لا أرتكب، وبينه وبين أفاق جناس القلب. الحمام: هو كل ذي طوق من الطير. الجوزاء نطاقها: نطق الجوزاء ثلاثة كواكب مستعرضة وباصه في وسط الجوزاء تسميها العرب النظم، وهي مثل في الإنتظام والإلتزام. ابرمته: أي أضجرت. الطائل: الفائدة والمنفعة. الموموم: الذي معه البرسام وهو شدة الجدري.

آثاره العلمیة والأدبیة

أشرنا فيما سبق أنّ البيهوشی كان علما من أعلام العلم، ونيراسا نیرا يستضاء به، وكان متوقّد الذكاء مقداماً في ميادين العلم والأدب، له آثار قيّمة نظماً ونثراً، ومن يطالع مؤلفاته يرى الأسلوب الأدبي السهل الممتع فيما نظمه من المتون، وفي شرحها شرحاً يمتاز عن غيره من الشروح بحسن التأليف والتنسيق وكمال الإيضاح، ومما يؤسف له أنّ نسخ تأليفه الثمينة ورسائله الأدبية البليغة قليلة نادرة، ولم أر المطبوع منها إلا كتابان وثلاث رسائل، والبقية رهينة القضاء والفناء، ومحبوسة في زوايا النسيان، بعيدة عن أيدي أهل العلم والأدب، لذا أرى من اللازم أن أذكر هنا بعض آثاره التي أحتفظ بها، أوذكرها بعض الأفاضل في كتبهم، وهي:

١- الكافي: منظومة في العروض والقوافي، نظمها في أيام شبابه، كما أشار ألى ذلك بقوله:

هذا ابتدا نظمي في الشباب فلا تُبادر صاح بالعتاب
وإن تجد فيه خلاف الأدب فالتبّع كُردِيٌّ وهذا عربي

٢- الوافي بحدّ الكافي: شرح منظومته المذكورة.

٣- تحفة الخلّان: في شرح الألغاز العربيّة.

٤- حديقة السرائر، في نظم الكبائر: هي نظم لكتاب (الزواج عن اقتراح الكبائر) لأحمد بن حجر الهيتمي، وقد أشرنا إليها فيما سبق. أسلوب المنظومة جزل بليغ سهل واضح التعبير، ومن أبياته فيها قوله:

وكلنا راع ومسؤولٌ غداً ياويح راع في الرعيّة اعتدى
وأبيّ عبدٍ مات في إباقه لا بد في العقبى من احتراقه
ذا في إباق العبد ممّن خُلِقا فكيف بالإباق ممّن خُلِقا؟

٥- طريقة البصائر، إلى حديقة السرائر: شرح لمنظومته هذه.

٦- المكفّرات: منظومة جمع فيها الخصال المكفّرة للذنوب

٧- كفاية المعاني: منظومة في بيان حروف المعاني، طبعت بأستانه (استانبول) لأول مرّة في سنة ١٢٨٩ هجرية، ولديّ نسخة منها. عدد أبياتها ستمائة وإثنان وسبعون بيتاً. يقول في مقدمتها:

أحمدُ ربّي حالة الضراء حمدي له في حالة السراء
لاحمد من يعبدُ ربّه على حرف فإن وإن كما قد أنزلا

ثمّ أشار في آخرها إلى عدد أبياتها، بحساب الأجد بقوله:

أبياتها مُحكمة رصيّة مَجموْعها (لؤلؤة ثمينة)

٨- الحفاية بتوضيح الكفاية: شرح فيها منظومته الكفاية شرحاً مفصلاً، والكتاب مرجع زاخر بالنكت واللطائف، والأشعار والآيات القرآنية، وطرائف الأئمة والأدباء.

٩- صرف العناية بكشف الكفاية: كتاب اختصر فيه كتابه (الحفاية) طبع في مصر سنة ١٣٤١ هجرية - ١٩٢٢ م، ولدي نسخة منه.

١٠- الحواشي المدونة على شرح (الفاكهي) في علم النحو.

١١- الحواشي المدونة على كتاب (البهجة المرضية في شرح الألفية).

١٢- منظومة في بيان الأفعال التي يستوى فيه اللزوم والتعدي، ولدي نسخة خطية منها. يقول في مقدمتها:

وبعدُ فاعلم أنّ هذي أبنيه ذاتُ لزومٍ تارةً وتعديه

نظمتها في غاية الإجاز فكاد أن يُشبهه بالألغاز

ثم يشرع في بيان الأفعال ويقول:

حنا، أزي، أوحش، أهجع، ألفا أعي، أفد، أوسع، أنو، تألفا

١٣- منظومة في بيان الأفعال التي أتت واوية ويائية، ولدي نسخة خطية منها، يقول في مقدمتها:

وبعدُ فاسمع جُلّ فعلٍ قدأتى واواً وياً لامة وأنصتا

لما أقولُ واخشَ داءَ الحسدِ إذ الحسودُ أبداً لم يسُد

ثم يشرع في تعداد الأفعال ويقول:

(عزوثه) نَسبته (عزِيته) كنوتُ زيدا كنية كنيته

(بقوته) انتظرته (بقيت) (ربوت في الأكراد أي (ربيت)

١٤- منظومة في بيان المؤنثات السماعية، وهي خمسة وثلاثون بيتاً تتضمن مائة واثنين وتسعين مؤنثاً سماعياً، ولدي نسخة خطية منها. يشرع في تعداد المؤنثات بقوله:

كفّ، شمال، أدن، سن، يدُ رجل، معي، عين، يمين عَضُدُ

١٥- منظومة في بيان المصادر الشاذة تتضمن اثنين وستين بيتاً، ولدي نسخة خطية منها.

١٦- الموائد المبسطة، في الفوائد الملقوطة: تتضمن المنظومة فوائد كثيرة، مثلاً يقول:

كعجب على أفاعيل اجمعا غلط الأفعال فيه إمنعا

وقول آخر: تقول أقعد للنديم القانم كما تقول اجلس لنحو النائم

وقول آخر: ولا تقل لاثنين زوج بل أتى زوجين في نفس القرآن مثبتا

أفكاره وقناعاته

كان البيهوشي مؤمناً موحدًا من أعماق قلبه. عاملاً بعلمه. مواظبًا على أداء الواجبات، وإقامة السنن، ومداومًا على تلاوة القرآن، وكان متكلاً على الله في شؤون حياته، وانتخب الإعتصام بحبل الله طريقاً للوصول إلى أماله ودواءً لآلامه، وكان همه التقرب من أهل الزهد والتقوى، ويعتبر القناعة أنها الراحة، والفضيلة؛ يتضح ذلك بكلّ جلاء، من قصائده وأبياته التي نذكر نموذجاً منها فيما يلي، فيقول:

بالحق لُدْ يَأْمَنُ غداً في تيه حيرته يهيم
من يعتصم بالله يُهـ دَ إلى صراطٍ مستقيم

(نفس المصدر، ص ٤٨)

ففي هذين البيتين يدعو إلى التوجه إلى الله تعالى وحده، والإلتجاء إليه فقط. وفي التقرب من أهل التقوى يقول:

تجنّب مُوَالاةَ أهلِ الغنى فدُنْيَاهُمْ عن قريبٍ تُبِيدُ
ولازم مُصَافاةَ أهلِ الثّقى ولا تُعُدْ عيناكَ عنهم تُرِيدُ

(تاريخ مشاهير كرد، ص ٢٨٠)

ويقول، في ملازمة أهل الفضل :

عليك بأهل الفضل والزم فنائهم وإن لم تكن منهم تنل بهم فخرا
ألم تر أهل الكهف ما إن يزال كلُّ بهم في كتاب الله يتلوهم ذكرا

(البيهوشي، ص ٧١)

ذاق البيهوشي المحن ومرارة الحياة وآلامها ولكنه كان كالصخرة الصماء لا تزعه عواصف الدهر، وكانت له عزة نفس وشهامة، يترفع عن المعيشة الدنية، يبدو ذلك بكل وضوح ممّا جاء في رسالته العراقية التي أسلفنا ذكرها، حيث يقول فيها: وبعد فأني مذ طوّحت بي طوانح الإغتراب، وأنانتني عن شرف تلك الأعتاب^(١) لم يزل الدهر يرمني شزراً، ويلحطني خزراً، ويوسعني هجرأ وهجرأ، ويُميطني غارب كل هجين، ويُنِيخ بي علي كل وجين، لأسري منه الإقي داج داجن ولا أرد إلا على آجن يسومني خطة الأذى، ويقلاني قلى المقلة للقذى، لكنه مع ذلك يزاول مني فتى شديد الشكيمة أبيتاً، ويرعى مني مرعى وبيتاً، ويستمرى مني دمعاً عصياً ويخوض مني عمرة الداماء، ويراح مني صخرة صماء لم يحملني - والحمد لله - تصريفه لأحوالي، وإعلاله لآمالي، على ابتدالي بالتملق إلي وإلى، حياء من قولي الذي شرقت به الركبأن وعربوا، وأطرب أولي الأبواب لما صعّدوا النظر فيه وصوبوا:

لاتمدنّ يداً يوماً لأخذ يدٍ ولو أضرت بك الأواء والثوب

١- طوّحت: قذفت . أنانتني: أبعدتني.

فالصبرُ صبرٌ على مَنْ الرجال ولو أربى على المَنِّ والسَّلوى الذي وهبوا^(١)
على أن التعفُّف كان دأبي، وأجملَ ثيابي، قبل أن أطوي بُردَ شبَّابي، فكيفَ وليُّ الشباب
إنقضى، وصَبِحَ المشيبُ أضاً.

إذالفتى ذم عيشاً في شبَّيته فما يقول إذا عصر الشباب مضى

(انظر البيتوشي، ص ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤)

ولم يكن يتوجّه إلى الدنيا وزخارفها، ولم ترضه ثرواتها في أيِّ حال من الأحوال،
كما يبدو من قوله:

إلّام في طلب الأمال يدفَعني وجه البسيطة يُمناها ويُسراها
والله لم تُرضني الدُّنيا ولو قدّمي فوق الثرىّ ونعلي فوق جِوزها
ولا سَنبنتي لِياليها بزُخرُفها ولو حَبَّت فوق ما الإنسانُ يهواها

(نفس المصدر، ص ١٤٨)

ويبدو في كثير من نثره وأشعاره، الشكوى من الدَّهر، ومما كان يصيبه من الهموم
والأحزان ومتاعب الحياة؛ ومن غرر أشعاره المنبئة عن ذلك قوله:

فُسِّمَت همومُ أبي البريةِ و البريةِ شاهده
فَحُبِّبْتُ ثُلثيها وهُم فيما بقى مُتوارده
فكانَ آدمَ ماتَ عَن ابن و بنتٍ واجده

(انظر البيتوشي، ص ٦٤، وتاريخ مشاهير كرد، ص ٢٧٩)

كذا قوله:

يدوسني برجله دوسَ الجذا دَهري كأيّ في جُفونه قُدّي
نَصَفَعُني الأيَّامُ صَفَعاً صَفَعاً صَفَعاً يفيضُ الدَّمعُ شَفَعاً شَفَعاً
فَكِدْتُ مِن مَسِّ الصِّفَاعِ أخشى مع حيرتِي في حالتي أن أعشى
ولم يَكُنْ دَنبِي إلاّ أدبي لا عاشَ إلاّ عَيشَني مُؤدَّبِي

(كفاية المعاني، ص ٢، ٣)

ومع كلِّ ما أصابه من نكد الدنيا والآمها، فكان متحملاً صابراً لم تنزل قدماه في
المسير الذي انتخبه للوصول إلى المعالي، وكرّس جهوده المتواصلة ومواهبه الممتازة
لخدمة العلم والأدب والدين والإنسانية وإفادة طلاب العلوم بدون ملل أو كسل، ولم تؤثر
على عزيمته وعقيدته الإسلامية الراسخة عواصف الدهر وزوابع الأيام، فبقي كالطود
الشامخ في ساحة الجهاد مع النفس والتوجه نحو الأهداف السامية، إلى أن توفي رحمه
الله تعالى.

النتيجة

كان البيتوشي شخصيّة بارزة، نبغت في كردستان في القرن الثاني عشر، وذاع
صيته بين العلماء والأدباء. عاش ثمانين سنة في خدمة الدين والعلم والأدب، وامانعه
عن ذلك عواصف الأيام وتبليبل أحواله، وأدى رسالته في الحياة على أحسن وجهٍ كعالمٍ

١- برمقني شزرا: ينظر إلي مبعضا. يلحظني خزرا: ينظر إلي بمؤخر عينه. هجرا وهجرا: بالضم القبيح من الكلام، وبالفتح المباحة. يميطنني: يركبني. الغارب: الكاهل. الهجين: من الخيل غير الأصل. الوجين: ما خشن من الأرض. الداج والداجن: كلاهما بمعنى المظلم. الاجن: الماء المنتن من طول المكث كالأسن. يسومني: يدفعني كرها المقلّة: شحمة العين. القدي: ما يقع في العين. الشكيمة: من اللجام الحديدية المعترضة في فم الفرس، وشديد الشكيمة أي أنوف أبي لا ينفاد. الوبي ك ألوخيم يستمري: يستخرج ويستدرّ الدماء: البحر. شرقفت: الخ: أي اتجهت به الركباني إلي الشرق والغرب. صعّدوا النظر: يقال صعّد النظر إذا نظر إلى فوق، وصوب النظر إذا نظر إلى تحت. اليد: النعمة. اللاواء: الشندان. النوب: جمع نأبة بمعنى نازلة الدهر. الصبر الثاني هو العقار المعروف مخفف صبر ككتف. أربى: أي زاد.

زاهدٍ وأديبٍ بارع، وخلف ورائه تراثاً علمياً وأدبياً قيماً للأجيال القادمة، وإنّ أكثر مؤلفاته بقيت في زوايا مجهولة معرضة للضياع بسبب حوادث الأزمان، ولم يطبع منها إلا كفاية المعاني، وشرحها المسمّى بصرف العناية، وثلاث رسائل؛ وإنها جديرة بالبحث والتحقيق، والتدريس في الجامعات والحوزات العلمية. وعلى ذوي الهمم من رجال العلم والأدب أن يبحثوا عن آثاره، وطبع ما هو في متناول اليد، وذلك خدمة للعلم والأدب والتاريخ، وصونا لهذا التراث من أن تعبت به أيدي الفناء.

المصادر والمراجع

- ١- ابرهيمي محمدي، گنجينه فرهنگ وزانست، انتشارات مهارت ١٣٦٤.
- ٢- البستاني، بطرس، محيط المحيط، مطابع تيبو- برس، لبنان، ١٩٨٧.
- ٣- البيهوشي، عبد الله، كفاية المعاني، استانبول، ١٢٨٩ هـ.ق.
- ٤- البيهوشي، عبد الله، صرف العناية في كشف الكفاية، مطبعة دار إحياء الكتب العربيّة، مصر، ١٣٤١ هـ - ٩٢٢ م.
- ٥- البيهوشي، عبد الله، منظومة في بيان الأفعال التي يستوي فيها اللزوم والتعدي، مخطوطة.
- ٦- البيهوشي، عبد الله، منظومة في بيان الأفعال التي أتت واوية ويائية، مخطوطة.
- ٧- البيهوشي، عبد الله، منظومة في بيان المصادر الشاذة، مخطوطة.
- ٨- البيهوشي، منظومة في بيان المؤنثات السماعيّة، مخطوطة.
- ٩- الخال، محمد، البيهوشي، مطبعة دار المعارف، بغداد، ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م.
- ١٠- روحاني شيو، بابامردوخ، تاريخ مشاهير كرد، ج ١، سروش، تهران، ١٣٦٤ هـ.ش.
- ١١- قطب، محمد، جاهلية القرن العشرين، دار الشرق بيروت، بلاتاريخ.
- ١٢- المدرس، عبد الكريم، علمؤنا في خدمة العلم والدين، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م.
- ١٣- المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة الثالثة والعشرون، دار المشرق، بيروت، بلا تاريخ.
- ١٤- نوفل، عبد الرزاق، مسلمون بلا مشاكل، دار الشرق بيروت، ١٩٨١م.
- ١٥- وجدي، محمد فريد، دائرة المعارف القرن العشرين، ج ٤ و ١٠، دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، بيروت - لبنان، بلاتاريخ.
- ١٦- وجدي، محمد فريد، الإسلام في عصر العلم، الطبعة الثالثة، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان، بلاتاريخ.